ونقول إن الشبهة غير مسلّمة لهم فكتاب الله الكريم بآياته وسوره مرتب بتوقيف(٢٣) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين قالوا إن الأمر كان باجتهاد من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم(٢٤) فإنما قصدوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رمز لهم بدلالة الإشارة في ترتيب هذه السور وقد بيّن ذلك الزركشي في كتابه البرهان حيث قال(٢٥): «إن من قال إن ترتيب السور في المصحف كان باجتهاد من الصحابة رضوان الله عليهم أراد أنه لم يكن مأخوذا من صريح قول النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا ينافي أنه مأخوذ من رمزه وإشارته به لأصحابه وكذلك من قال إنه بتوقيف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما قصد أن ذلك كان بتعليمه وإشارته بطريق الرمز والإشارة لا بصريح القول والعبارة).

وقد ذهب البيهقي والسيوطي وابن كثير في كتابه فضائل القرآن إلى أن ترتيب السور(٢٦) في المصحف توقيفي إلا سورتي الأنفال والتوبة اعتمادا على الحديث الوارد في جمع القرآن الكريم حين سأل ابن عباس رضى الله عنهما عثمان بن عفان رضى الله عنه عن سبب إسقاط البسملة من أوائل سورة التوبة، فأجابه عثمان رضى الله عنه: كانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة وكانت براءة من آخر القرآن الكريم نزولا وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننت أنها منها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أنها منها فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بينهما بسم الله الرحمن الرحيم(٢٧). وقد صرح كثير من العلماء أن ترتيب الأنفال وبراءة هو توقيفي أيضا(٢٨)، ولم يأخذوا بما خصّه هذا الحديث من عدم التوقيف في ترتيب الأنفال وبراءة. وقالوا إن هناك أدلة

---

(٢٣) انظر كتاب سلامة القرآن الكريم من العيوب للأستاذين أحمد السيد الكومي، محمد أحمد القاسم.

(٢٤) الإتقان في علوم القرآن جـ١ ص٦٢ السيوطي.

(٢٥) البرهان في علوم القرآن جـ١ ص٢٦٠ الزركشي.

(٢٦) روح المعاني جـ١ ص٢٧ الألوسي.

(٢٧) انظر تخريج الحديث في الفتح الرباني جـ١٨ ص١٥٥ وقال فيه حسّنه الترمذي وصححه الحاكم وقد ذهب الشارح إلى موافقة صاحب المنار في عدم الاعتداد بهذا الحديث في هذا المجال.

(٢٨) لقد ذهب القرطبي إلى أن سبب عدم كتابة البسملة هو لأن جبريل لم ينزل بها فيعود ظاهر هذا القول إلى التوقيف (جـ٨ ص٦٣ تفسير القرطبي).

صريحة أفادت أن ترتيب القرآن الكريم هو توقيفي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن هؤلاء الأستاذ محمد رشيد رضا حيث صرح بأن هذا الحديث في أحسن حالاته يرقى إلى مرتبة الحسن. وقال فيه الترمذي حديث حسن لا نعرفه إلا من حديث عوف ابن أبي جميلة عن يزيد الفارسي عن ابن عباس. ويزيد هذا غير مشهور اختلفوا فيه هل هو يزيد بن هرمز أو غيره. وسئل عنه يحي بن معين فلم يعرفه، وقال عنه أبو حاتم لا بأس به)(٢٩).

وحتى لو سلمنا بوجهه نظر القائلين بأن هذا الترتيب كان باجتهاد من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم قد أجمعوا على ذلك وإجماعهم لا يكون إلا عن مستند أفادهم علما وإجماعهم رضى الله عنهم حجة لا يصح العدول عنه ويؤكد ذلك أن الصحابة تركوا ترتيباتهم التى خالفت الإجماع، كما أن هذه المصاحف لم تكن جامعة للمصحف وفيها إضافات للتفسير وكانت متناثرة غير متكاملة فلم تكن مصاحف بالمعنى المعروف.

ولو اعتمدنا على بعض الروايات الواردة عن بعض الصحابة في الزيادة أو الحذف في كتاب الله لفتحنا بابا واسعا للشبهات لن يغلق.

وإذا كان علماء المسلمين يؤكدون على ضرورة الحفاظ على رسم المصحف وشكله ونقطه فكيف يجوز أن ندعو إلى إعادة ترتيبه وتمزيقه ومعظم النار من مستصغر الشرر.

وقد صرح غير واحد من أئمة العلماء بأن ترتيب القرآن الكريم في اللوح المحفوظ هو على نفس ترتيبه الذي نقرأه في المصحف لأن الله قد تكفّل لكتابه الحفظ من التغيير والتحريف والتبديل(٣٠). وقد أكد هذا المعنى الحافظ ابن

---

(٢٩) تفسير المنار جـ٩ ص٥٣٩ دار المنار القاهرة.

(٣٠) وقد ألفت كتب عدة في بيان أوجه الإعجاز في المناسبات بين آيات القرآن الكريم وسوره. ويترتب على الإخلال بهذا الترتيب المساس بوجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم.

ومن هذه الكتب:

١ ـ نظم الدرر في المناسبات بين الآيات والسور للبقاعي.

٢ ـ جواهر البيان في تناسب سور القرآن/ الغماري.

كثير في كتابه فضائل القرآن كما أيّده عامّة العلماء(٣١).

ويبدو أن الذين أجازوا تغيير ترتيب السور في المصحف من أجل التفسير قد اعتمدوا على شبهة ثالثة وهي أن عليا رضى الله عنه قد وضع ترتيبا للمصحف وفق أسباب النزول.

وهذه الرواية وإن كانت مذكورة في بعض كتب التاريخ وتمسك بها بعض الشيعة وذكرها بإسهاب (جولد تسهير) في كتابه (مذاهب التفسير الإسلامي)(٣١) وأسندها إلى مصادر مختلفة من كتب الشيعة وبعض كتب السنة ولكن الصحيح أنه لم يصح من هذه الروايات شيء. وإنما هي مجرد أقوال بلا دليل وما كلّ قول يعتبر إلا قولا له حظ من النظر.

وحتى لو سلمنا جدلا بصحة هذه الرواية فهي تدخل في مسألة اختلاف مصاحف الصحابة التى أجمعوا على تركها وإتباع المصحف المعهود. ولا يخفى على كل ذي بصيرة اهتمام (جولد تسهير) بهذه المسألة في محاولة منه لتشكيك المسلمين بسلامة النص القرآني.

وفي هذه العجالة لا يسعني إلا أن أحذر من مخاطر هذه الطريقة ومطالبة المسلمين جميعا على اختلاف مواقعهم ومسؤولياتهم أن يقفوا في وجه كل محاولة تهدف إلى المسّ بكتاب الله عز وجل على اختلاف الدوافع والأسباب والغايات.

---

٣ - المناسبات في ترتيب الآيات والسور/ أبو جعفر بن الزبير الغرناطي.

٤ - المناسبات في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره/ رسالة دكتوراه للأستاذ محمد أحمد القاسم.

وقد ورد فصل في كتاب «مقدمتان في علوم القرآن» بعنوان: «بيان ان القرآن تكلم الله سبحانه وتعالى به على هذا الترتيب الذي هو في أيدينا اليوم لا على ترتيب النزول (مقدمتان في علوم القرآن ص٣٩ نشر آرثر جفري تصحيح عبدالله الصاوي القاهرة سنة ١٩٧٢م.

(٣١) انظر الفتح الرباني جـ١٨ ص٣٥ أحمد البنا.

(٣٢) مذاهب التفسير الإسلامي ص٢٩٦ جولد تسهير مكتبة الخانجي القاهرة.

«المراجـــــع»

(١) **الاتقـان في علوم القرآن:** لجلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المشهد الحسيني القاهرة سنة ١٩٦٧م.

(٢) **البداية والنهاية:** الحافظ عماد الدين ابن كثير الدمشقي، دار الفكر بيروت.

(٣) **البرهان في علوم القرآن:** الزركشي، عيسى البابي الحلبي، القاهرة سنة ١٩٧٢م.

(٤) **بيان المعاني:** عبد القادر ملّا حويش، مطبعة الترقي دمشق سنة ١٩٦٣م.

(٥) **تفسير القرآن الكريم:** ابن كثير الدمشقي، دار المعرفة بيروت ـ سبعة أجزاء ـ

(٦) **تفصيل آيات القرآن الكريم:** جول لا بوم، ترجمة محمد فؤاد عبدالباقي.

(٧) **التفسير الحديث:** محمد عزة دروزه، دار إحياء التراث العربي القاهرة سنة ١٩٦٣م

(٨) **تفسير المنار:** محمد رشيد رضا، دار المنار القاهرة.

(٩) **الجامع لأحكام القرآن:** القرطبي، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر.

(١٠) **روح المعاني:** الألوسي، دار الفكر بيروت.

(١١) **سلامة القرآن الكريم من العيوب:** أحمد السيد الكومي، محمد أحمد القاسم.

(١٢) **سنن الترمذي:** أبو عيسى الترمذي، المكتبة الإسلامية بيروت.

(١٣) **شرح صحيح مسلم:** النووي، دار الفكر بيروت.

(١٤) **الفتح الرباني بترتيب مسند الإمام أحمد الشيباني:** أحمد عبدالرحمن البنا، دار الشهاب القاهرة.

(١٥) **فتح الباري:** ابن حجر العسقلاني، المطبعة السلفية القاهرة.

(١٦) **لباب النقول في أسباب النزول:** جلال الدين السيوطي، مطبعة الملاح دمشق.

(١٧) **مسند الإمام أحمد**: أحمد بن حنبل، دار المعرفة بيروت.

(١٨) **المستدرك**: الحاكم، مطابع النصر الحديثة الرياض.

(١٩) **مباحث في علوم القرآن**: صبحي الصالح، دار العلم للملايين بيروت سنة ١٩٧٤م.

(٢٠) **مذاهب التفسير الإسلامي**: جولد تسهير (ترجمة وتعليق عبدالحليم النجار) دار الكتب الحديثة القاهرة.

(٢١) **مقدمتان في علوم القرآن**: نشر أرثر جفري، تصحيح عبدالله الصاوي، مكتبة الخانجي القاهرة سنة ١٩٧٢م.